### تأسس بهدف «هزيمة الخوف والإبداع في الهواء الطلق»

# «المعتكف الكتابي» يتحدى ظاهرة «الشللية» في الوسط الثقافي المصري

القاهرة: داليا عاصم

مجموعة من الكتاب من مختلف الأعمار يحركهم شغف الكتابة، يرتحلون بعيداً عن صخب القاهرة وضجيجها، أملاً في الانتهاء من أول عمل أدبي لهم، يكشفون خلال رحلتهم عن التحديات التي يمرون بها وتقف كعقبات أمام ظهور كتاباتهم للنور. يساند بعضهم بعضاً، يقيمون حفلات توقيع وندوات أدبية وورش عمل في تحدٍّ لظاهرة «الشللية» في الوسط الثقافي المصري. هذه شهي فكرة «المعتكف الكتابي» التي أطلقتها الروائية المصرية هدى أنور، تحت شعار «بيت صناعة الأدباء بمصر والوطن العربي»، التي حققت نجاحاً لافتاً.

تقول هدى أنور، مؤسسة المعتكف لـ«الشرق الأوسط»: «بدأت المبادرة مارس (آذار) 2017 وذلك عقب نشر أول رواية لي. الفكرة جاءت نتيجة للصعوبات التي واجهتها لكي تخرج روايتي للقراء، كان من بينها عقبات في تقنيات الكتابة والنشر والتوزيع؛ لذا فكرت في تقديم المساعدة للكثير من الشباب الموهوبين الذين تواجههم مشكلات أكبر من تقنيات الكتابة ذاتها... فكرت ما الذي يمكن تقديمه غير ورش العمل التقليدية، واهتديت إلى أن نعتكف مع الكتابة خارج القاهرة، في أماكن تتسم بالهدوء ذات طابع سياحي، سواء في وادي النطرون أو سانت كاترين وغيرها، وبالفعل لقيت الفكرة إقبالاً واسعاً».

وحول أهم المشكلات التي يعاني منها الكتاب الشباب، تقول صاحبة رواية «سحر حلال»: «من أبرز المشكلات ما يمكن أن أسميه (السّدة الكتابية)، وعدم الثقة بالنفس، والخوف من النقد وخروج العمل للقراء، والانشغال بالعمل اليومي، وهكذا». وتضيف: «نحن بصدد الإعداد للمعتكف الثاني عشر. وخلال عامين انضمّ إلينا أكثر من 100 كاتب وكاتبة، من مختلف الفئات العمرية، والجنسيات المقيمة في مصر، وفي عام 2017 نجحنا بالتعاون مع دار نشر (ليان) في إصدار 6 روايات، وخلال عام 2018 أصدرنا 16 كتاباً من بينها روايات ومجموعات قصصية».

الأمر اللافت أن المشاركين لا تنقطع علاقتهم عقب انتهاء المعتكف، بل تحرص هدى أنور على جمعهم في لقاءات دورية، وتحاول متابعة التقدم في استكمال مشروعهم الكتابي. وهي تشير إلى أن «المعتكف الكتابي ليس ورشة كتابية، ولكن رحلة خارج المألوف تبدأ بالخروج من عالم الواقع المليء بالأعباء والمسؤوليات إلى عالم ينفصل فيه المشتركون عن الواقع ويعتكفون على ذواتهم لإعادة إحياء موهبتهم الكتابية، وجميع المشاركين يشكّلون حلقة دعم بعضهم لبعض ولي أيضاً».

وحول النوع الأدبي للمعتكف تقول: «المعتكف معنيٌّ بأي نوع من أنواع الكتابة سواء رواية أو شعراً أو قصة قصيرة، وفي كل الأنواع يجد الكاتب عادةً مشكلات غالبها يكون نفسياً، ونحن نحاول مساعدته على التقدم وتخطي تلك العقبات». وتروي مثالاً على ذلك: «انضم إلينا الكاتب محمود فريد وقال لنا: كتبت 60% من روايتي ولا أتمكن من استكمالها. وكانت مشكلته في اعتقاده أنه لن يتمكن من الكتابة وإنهاء روايته. ثم نشرت روايته ونجحت بالفعل وانتشرت في عدد من الدول العربية. الأمر يتعلق بتعلم كيفية السيطرة على الصوت الباطني للكاتب وكيفية تخصيص وقت ومكان محددين للكتابة».

«الكتابة الإبداعية» هي ما يحرص المعتكف على تدريب المشاركين عليها، لذلك تقوم أنور أيضاً بتقديم استشارات كتابية. وهي ترفض الانتقادات الموجهة إليها لدعمها الكتاب الجدد بسبب ضعف نتاجهم، لافتةً إلى أن «النقد لا بد أن يكون بشكل بنّاء حتى لا نهدم موهبة. ونحن عادةً نُجري تقييماً مبدئياً لكل مَن ينضم إلينا لنعرف إذا كان جاداً أم لا، وإذا كان شغوفاً حقاً بالكتابة وهي علامات أولية لمن يريد استكمال مشواره الأدبي».

وحول المشكلات التي تواجه الملتقى، ذكرت أنور أن «المبادرة قامت بجهد ذاتي، والدولة دعمتنا معنوياً من خلال مشاركة المعتكف الكتابي ككيان في منتدى شباب العالم، لكننا نحتاج إلى دعم النشر لتقليل العبء المادي على الشباب».

وتقول الكاتبة رانيا بيومي، التي نشرت أول رواية لها عبر المعتكف الكتابي تحت عنوان «جميلة... هي الحياة»: «تجربتي في المعتكف الكتابي كانت من التجارب التي غيّرت مجرى حياتي بالفعل. المعتكف حالة تعيشين فيها بكل كيانك وتخرجين بها عن روتين الحياة اليومي... ساعدتني التجربة كثيراً في صقل موهبتي، ووضعي على الطريق السليم، فتحولت موهبة الكتابة عندي إلى عمل مطبوع ومتداول في المكتبات».

أما الروائية الأردنية دانة خياط فتقول: «كنت أكتب منذ فترة طويلة في مجلة خليجية ونشرت نحو 300 قصة، ولكن كنت أحتاج إلى توجيه ودعم، ووجدت بالفعل إعلان المعتكف الكتابي، وجئت لمصر وحضرت معتكفاً في القاهرة وفي الفيوم. وشاركت في القصص الجماعية وكتبت رواية لدعم مرضى السرطان بعنوان (رسائل البحر) صدرت في معرض القاهرة للكتاب». وتذكر أن العقبة الرئيسية بالنسبة إليها كانت النشر لكنها تخطت ذلك مع المعتكف الكتابي.

لم تكتفِ أنور بمبادرة «المعتكف الكتابي» بل أطلقت فكرة «أبجديات صناعة الرواية» كبرنامج مكثف لوضع الكتاب على الطريق الصحيح منذ بداياتهم. وعلى حد قولها: «الكتابة حرفة وهي كباقي المهن تحتاج إلى الممارسة وصقل المهارة وتعلم أساسياتها، وهو ما أحاول تعريف الشباب به عبر برنامج تدريبي مكثف مدته لا تتجاوز 16 ساعة يتعرف فيه المشارك على أبجديات كتابة الرواية وتقنيات نسج العمل الروائي وعناصره من أساليب السرد وخلق الشخصيات وغيرها، وهي دورة نعقدها على مدار يومين فقط بمكتبة مصر العامة، لمن لا يتمكن من حضور رحلة المعتكف الكتابي خارج القاهرة».

وتأمل أنور في أن تتوسع فكرة المعتكف الكتابي ليكبر وينتشر في العالم العربي.


من إحدى جلسات «المعتكف الكتابي»

### جهود حثيثة لوضعها على قائمة التراث العالمي

# «جدة القديمة» تعانق التراث والتاريخ

عبد الرحمن الشبيلي*

في كل مدن العالم، توجد «بؤر» تاريخيّة، تستمدّ أهميّتها من قِدمها وطرزها ومعالمها العمرانيّة، وتزداد أهميّتها عندما تقترن تلك الأماكن بأحداث مهمّة ترتبط بتاريخ المدن وتحوّلاتها الحضريّة والسياسيّة.

في المملكة العربيّة السعودية، التي مضى على تأسيسها 120 عاماً وعلى توحيدها قرابة 90 عاماً، هناك في الذهن مواقع في معظم المدن والأقاليم، كقلاع المصمك في الرياض، والكوت في الهفوف، وبرزان في حائل، وجدة القديمة المسمّاة شعبيّاً «البَلَد» أو «التاريخيّة»... وغيرها كثير، مرّت بأيام تستحق في نظر السعوديين أن تسمّى من أيام التاريخ المجيد في تأسيس الكيان، وظلّوا على مدى العقود يستذكرون الأدوار التاريخيّة التي مرّت بها.

وبالنسبة لجدة التاريخيّة في وسط المدينة، فكانت استقبلت الملك الفاتح عبد العزيز آل سعود عام 1924 بعدما آل حكم الحجاز إليه، واستطاع بحكمته وبجهوده الدؤوبة أن يجعل الإقليم جزءاً آمناً متمماً للمملكة الجديدة من الخليج إلى البحر الأحمر.

والحقيقة أن أهل الحجاز قد وجدوا في قدراته الذهنيّة والقياديّة ما جعلهم يُجمعون على قبوله ويقتنعون بأهليّته للمُلك، فبايعوه على ذلك، بل لقد قادوا بعد 7 أعوام مبادرات الدعوة لتوحيد الحجاز ونجد والأحساء وعسير والأقاليم الأخرى، وقد استقبله في زياراته المتعدّدة بيوتات جدّة التاريخيّة وأُسرها ووُجهاؤها (آل نصيف - آل باناجه - آل قابل - آل زينل - آل الجفّالي - آل الفضل... وغيرهم) واستضافته دورهم.

وتقوم الدوائر المعنيّة بالتراث منذ سنوات بجهود حثيثة لتأهيل هذه المنطقة (جدة التاريخيّة) وسعت لوضعها على قائمة التراث العالمي لدى اليونيسكو، لما تضمّه من تراث معماري أصيل يعبّر عن البناء الحجازي التقليدي برواشينه الخشبيّة الجميلة والذوق التصميمي الرفيع، مما أعاد الحياة إلى تلك الأحياء وحماها من الاندثار والتآكل والابتذال، وجعلها مقصداً سياحياً شعبيّاً للأهالي والزوّار والمقيمين يضاهي المدن السياحيّة العالميّة في الغرب والشرق. ولم ينقطع ملك البلاد وولي العهد والحاكم الإداري والوزراء المعنيّون عن زيارتها بين حين وحين لاستذكار دورها التاريخي، وللإشراف على مراحل التطوير التي تمرّ بها، ولتشجيع القطاعات الاقتصاديّة على الاستثمار بها واجتذاب السياحة إليها، حتى صارت هناك الآن حركة نهاريّة ليليّة دؤوب.

في السعودية، كانت شؤون التراث والثقافة مشتّتة، تتنازعها أجهزة حكوميّة عدّة، وصارت محط تجارب تنظيميّة على مدى 30 عاماً، إلى أن استقر الرأي في العام الماضي على جعلها وزارة إشرافيّة مستقلّة، استلّت من غيرها كل الاختصاصات الصلبة والإبداعيّة الناعمة، المتّصلة بالثقافة حسب العرف الدولي، وصار المجتمع الثقافي ينظر من جديد بعين التفاؤل لمستقبلها.

بإنشاء وزارة مستقلّة تصاعدت من جديد آمال المثقّفين، بأن تنظر الوزارة بعين الشفقة على الكتاب لحمايته من بخس تجار النشر وغبن المكتبات، وبأن تصبح مرافق الوزارة الجديدة بيوتاً فعليّة مفتوحة للقاءات المثقفين ونداواتهم، وأن يجعلوها بمنأى عن التحوّطات الأمنيّة التي غالباً ما تحيط بالمرافق الإعلاميّة أيام كان الاقتران قائماً بين الثقافة والإعلام، وأن يبعثوا القنوات التلفزيونيّة الثقافيّة التي حوصرت فيما مضى، بحيث تحظى بالتطوير الذي يأمله المثقّفون بدلاً من الشطب والإلغاء... والكلام عن مطالب المثقّفين يطول فيما يتّصل بالآمال والتطلّعات.

* باحث وإعلامي سعودي


جانب من جدة التاريخية



فاضل السلطاني

## أرض يباب يحكمها «الأخ الأكبر»

يعود القارئ الغربي في هذه الأيام المظلمة إلى عملين حفرا عميقاً في اللاوعي الجمعي في فترتين يفصل بينهما نحو ربع قرن. نشر العمل الأول عام 1922، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بأربع سنوات. والثاني عام 1949 بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بأربع سنوات أيضاً. الأول هو «الأرض اليباب»، تي. إس. إليوت، والثاني «1984»، لجورج أورويل.

نادراً ما نجد أعمالاً عكست الأهوال التي عرفتها البشرية في تلك الفترتين مثل هذين العملين. لقد مر على صدور العمل الأول، الذي تزامن مع صدور مع «يوليسيس» لجيمس جويس فقلبا العالم الأدبي رأساً على عقب، قرن إلا ثلاث سنوات. وتمر هذه الأيام سبعون سنة على صدور «1984». لماذا هذه العودة لهذين العملين بالذات مع كل أزمة يعرفها ضمير العالم الغربي، فيغدوان أكثر قوة وحضوراً؟

تقول إحصاءات النشر في بريطانيا، إن مبيعات «الأرض اليباب» ارتفعت بشكل ملحوظ بعد أزمة «بريكست» التي وضعت المواطن البريطاني على مفترق طرق لا يعرف أين ستؤدي به. بمعنى لآخر؛ أن الشروط التي قادت إلى ذلك المنزلق الخطير بعد الحرب العالمية الأولى تعيد إنتاج نفسها. إنها مختلفة بالطبع شكلاً، ولكن الجوهر هو نفسه: انسداد اجتماعي وسياسي ينعكس بالضرورة على الروح والفكر، فيغيب الأفق، ويتجمد الحاضر بكل قبحه وانكساراته وفواجعه كأنه لا يريد أن يرحل أبداً.

«الأرض اليباب» ليست عن الحرب، أو نتائجها الكارثية. إنها عن أزمة الإنسان الروحية الكبرى، التي أنتجها النمو الفالت للقيم المادية الرثة، المتجسدة في تجار الحروب، والرأسمال الذي يحركه الجشع والربح، وليست الحاجات الاجتماعية الحقيقية، مما خلف فجوات كبيرة، وانسدادات انفجرت لاحقاً على شكل اضطرابات وحروب أهلية في أكثر من مكان.

كانت أرض إليوت أرضاً لا روح فيها. كل شخصياتها الغائمة، التي بلا أسماء، تبحث عن تلك الروح، لكن لا تجدها في أرض قاحلة، جدباء بلا ماء. ليس هناك غير صخور وصخور. رجال إليوت؛ الأحياء الموتى، يدبون على جسر لندن، كما رجال دانتي في الجحيم، وعيونهم مثبتة على أقدامهم، هم أنفسهم الذين يبسطون ظلالهم الآن على امتدادها الفسيح في كل أرجاء بريطانيا التي لا تعرف ماذا ستفعل بنفسها.

«1984» لأورويل لا تختلف جوهرياً كثيراً عن «الأرض اليباب». رثى الكاثوليكي إليوت الإنسانية كلها، بينما شخص الاشتراكي أورويل مرضها في منتصف القرن العشرين: الديكتاتورية التي تحولت إلى منظومة سياسية واجتماعية وثقافية متكاملة. وفي الحالتين خراب روحي، وكائنات مسحوقة تحت وطأة قوى غير مرئية تتخذ ألف شكل وشكل. ولأنها قوى حيوية، مرنة، فإنها تستطيع أن تبسط هيمنتها في مختلف العصور عبر القمع، والخداع، والتضليل، وقبل كل شيء عبر تزييف الحقيقة. «الأخ الأكبر» في «1984» لا يملك اسماً، ولا مكاناً، ولا زمناً رغم العنوان. إنه معاصرنا، وهو موجود شرقاً وغرباً، وماضياً وحاضراً، ومستقبلاً أيضاً ما دام قادراً على امتلاكنا... إنها أخونا الأكبر!

تذكر دوريان لينسكي في كتابها الجديد عن رواية «1984»، الذي يصدر بعد أيام بمناسبة مرور سبعين سنة على صدور الرواية، ونشرت جريدة الـ«أوبزرفر» البريطانية الأسبوعية مقتطفات منه، أن رفوف المكتبات البريطانية، خصوصاً بعد انتخاب دونالد ترمب، والتصويت على الخروج من الاتحاد الأوروبي، وصعود التيارات الشعبوية، قد امتلأت بعناوين مثل «كيف تنتهي الديمقراطية؟» و«الطريق نحو اللاحرية» و«موت الحقيقة». ومعظمها تستشهد بجورج أورويل وروايته الكبرى.

لا تزال الأرض اليباب يباباً بعد مضي قرن، ولا يزال يحكمها «الأخ الأكبر».

# الأدب الاستهلاكي يتسيد الساحة الثقافية الأوروبية

روما: موسى الخميسي

تستمد غالبية كبيرة من الشبيبة الأوروبية، كما يشير كثير من الاستقصاءات، «ثقافتها» من قراءة «فيسبوك»، والمواقع المحشية بالمعلومات الخاطئة، أو ما تنتجه دور النشر من أدب استهلاكي، حظي في السنوات العشر الأخيرة بمزيد من الانتشار، رغم أن هذا الأدب لا يقدم أي نتاجات ذات قيمة فنية مقارنة بالأدب الجاد، بالإضافة إلى تأثيراته السلبية على مجمل الحركة الأدبية والثقافية، ما يخلق عملية إرباك فكري وثقافي، خصوصاً على الأجيال الجديدة.

ويعمل الناشرون وتجار الكتب في فرض الكتب الأكثر مبيعاً من وجهة النظر التجارية على اعتبار أن الكتاب هو بضاعة مدعوة لتحقيق الربح لمنتجها. وتتمثل الأخطار التي يشنها الأدب الاستهلاكي المعد ضمن وصفات محددة بشكل جيد والمطبوع بأسلوب جذاب وأنيق، الذي تصرف عليه دعاية كبيرة حتى قبل نزوله إلى السوق.

ويقف في مقدمة الأدب الاستهلاكي الأدب البوليسي الذي يستأثر بإعجاب القراء في كل مكان، فقد أبدع كثير من الكتاب العالميين نماذج كثيرة ومتنوعة للأدب البوليسي الذي يركز في جوانبه الكلاسيكية على الجريمة التي أصبحت في هذا النوع من الأدب «مهنة» رومانتيكية للحد الذي اختلطت فيه الرواية البوليسية برواية الجريمة التي تعتمد في أغلبها على فضح المجرم وشرح أسباب الجريمة وإدخال عنصر التحليل النفسي، ووصف طبائع الشخصية، وهنالك أساليب أخرى، فهي إلى جانب اعتمادها على عنصر الجريمة فإنها تسعى لتلقين القارئ دروساً أخلاقية، أما غالبية الكتب البوليسية فتعتمد على تصوير عقدة الجريمة دون الاهتمام بالجوانب النفسية والاجتماعية.

وقد ولد خلال السنوات الأخيرة نموذج جديد من رواية الجريمة يدخل الفعل السياسي والتاريخي بالبوليسي، ويحمل هذا النوع تزييفاً لكثير من القضايا والحوادث والوقائع التاريخية للحد الذي بدأت فيه هذه الأنواع من الأعمال الروائية تشويه الصورة العامة لهذه الأحداث والشخصيات التاريخية وتستثير المشاعر الأخلاقية والصفات الروحية للقارئ، حيث بدأت ترسم علامات استفهام كبيرة حول الفعل السياسي والتاريخي المرتبط بالقتل والجريمة، وجعلت مثل هذه الأعمال التي تختلط بها اللغة العامية مع الفصحى وتستطرد في ثرثرة عن مشاكل الحياة وعبثيتها وتفاهتها، تعج بها سوق الكتب في كل مكان وتجد لها جمهوراً يكبر كل يوم.

تعتمد هذه الأعمال على الحوادث التاريخية المنسية وغير المعروفة جيداً لدى القارئ العادي، وتتناول حياة الإقطاعيين والثوار التي عاشها كثير من بلدان أوروبا خلال القرون الوسطى وأحداث الحروب الماضية منطلقة من المقولة الشائعة إنه «لا أحد يعرف بالضبط كيف كان التاريخ الحقيقي».

النوع الآخر، الذي أصبح في الآونة الأخيرة تقليعة شائعة، هو كتابات الحب والجنس المتحرر من كل قيود، الذي ينتقل المؤلف من خلاله إلى العوالم الخفية بسرعة مدهشة متحرراً من أي سمات أخلاقية للحد الذي تبدو فيه هذه المؤلفات القصصية كأنها موضوع واحد بعدة تفاصيل متغيرة. ويمارسه عشرات الكتاب ليقودوا قراءهم إلى عالم الأحلام والأوهام الجميلة بعيداً عن تعقيدات الحياة اليومية، فنرى الناس في القطارات وعلى سواحل البحر أثناء العطل الصيفية لا هم لهم إلا متابعة آخر ما تنتجه دور النشر المتخصصة بهذه الموضوعات.

واستحق هذا النوع من الأعمال الروائية تسمية «الروايات المبتذلة» التي تنتشر عادة وسط جمهور يتسم بضيق الأفق والسطحية في التفكير، لينتج ثقافة استهلاكية تخلق قناعات واهمة بإمكانية الحصول على أي شيء في هذه الحياة.

عندما صدرت رواية «داخل» للكاتبة ليندا لافلايس في السبعينات وهي رواية فاضحة ورخيصة أثارت في حينها ضجة كبيرة، حتى جريدة «التايمز» البريطانية، الحريصة جداً على «الروائع الجديدة»، وصفت هذا العمل بأنه «كتاب خليع عن مغامرات امرأة ساقطة مكتوب بلغة ساقطة»، وربما كانت مؤلفته امرأة فقدت الحياء، ولكن هل كانت أديبة موهوبة؟ أجاب عن هذا السؤال أحد النقاد بقوله: «تسألون عن ليندا لافلايس ككاتبة؟ مبارك سعيكم... ولكنها أنثى غبية حشي رأسها بنشارة الخشب العفنة بدلاً من الدماغ. لماذا تكسب أمثال هذه المؤلفات الآن مثل هذا الرواج في المجتمعات الغربية؟». يجيب بعض الناشرين الإيطاليين: «كيف نقدم على نشر ما لا يروق لأوسع أوساط الجمهور؟ إن معيارنا الوحيد في النشر هو النجاح لدى الجمهور». لكنهم يدركون أكثر من غيرهم أن هذا النجاح الجماهيري هو ثمرة لحلقة شائنة مصطنعة «العرض يولد الطلب... والطلب يرفع العرض»، لكنهم يعرفون بحس مهني بارع كيف يستثمرون هذه المعادلة لصالحهم، إذ تجري تغذية المواطن العادي بالبضاعة الاستهلاكية الفاسدة مسبقاً، وهي قصص المغامرات والجنس الموزعة بملايين النسخ والمترجمة إلى مختلف لغات العالم والمحفوظة في علب أنيقة أخاذة من الأغلفة البراقة. إنها تحاصر المواطن في كل مكتبات وأكشاك بيع الصحف المنتشرة في كل منعطف وشارع، وتلاحقه حتى أقصى نقطة يمكن الوصول إليها. إنهم يعملون بمثابرة لا تعرف الكلل على تربية المستهلك، يشبعونه بمفاهيمهم «الجمالية الخاصة» لتقوده في النهاية إلى عملية تشويه لتصوراته عن القيم والمثل والذوق الجمالي والأخلاقي.

إن جيشاً كاملاً من الحرفيين وأساطين صناعة اللهو في معظم البلدان الأوروبية، ينتج هذا النوع من الفن الكاذب حسب وصفات محددة تجعل منه تجارة رابحة ذات حدين: فهي من جهة مصدر ربح خيالي، ومن جهة أخرى تؤدي وظيفتها الاجتماعية في تربية إنسان سلبي لا يكترث بالسياسة ويقبل كل قواعد اللعبة دون قيد أو شرط. وهذه الثقافة الزائفة التي وصفها كاتب إيطاليا الراحل ألبيرتو مورافيا بأنها «أفيون الشعوب» أبعد من مجرد كونها مجرد صناعة للهو، بل تمارس بشكل هادف ويقظ وخبيث وظيفتها. إنها الحارس الأمين لنمط الحياة السائدة في هذه البلدان.



روايات الجريمة والعنف تغزو الأسواق